مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٤:٥–٨)

يا ولدي تيموثاوسُ تيقَّظْ في كلِّ شيءٍ واحتَمِلْ المشقَّاتِ واعمَلْ عملَ المبشِّرِ وأوفِ خدمتَك* أمَّا أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ عليَّ ووقتُ انحلالي قدِ اقترَب* وقد جاهدتُ الجِهادَ الحسنَ وأتممتُ شَوْطي وحفظتُ الإيمان* وإنَّما يبقى محفوظاً لي إكليلُ العدلِ الذي يجزيني بهِ في ذلكَ اليومِ الربُّ الديَّانُ العادلُ لا إيَّايَ فقط بل جميعَ الذين يحيونَ ظهورَهُ أيضاً.

الإنجيل

(مرقس ١:١–٨)

بدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيحِ ابنِ الله كما هو مكتوبٌ في الأنبياءِ: هأنذا مُرسِلٌ ملاكي أمامَ وجهِك يُهيئُ طريقَك قدَّامَك* صوتُ صارخٍ في البرِّيَّةِ أعِدُّوا طريقَ الربِّ واجعلوا سُبلَهُ قويمةً* كان يوحنَّا يعمِّدُ في البرِّيَّةِ ويكرِزُ بمعموديةِ

العدد ١/٢٠٠٥

الأحد ٢ كانون الثاني

الأحد قبل الظهور الإلهي

تقدمة الظهور الإلهي

تذكار القديسَين سلبسترُوس وسيرافيم ساروفسكي

اللحن السادس

إنجيل السَحَر التاسع

ختانة السيد

في اليوم الثامن لعيد ميلاد الرب يسوع بالجسد، والذي يصادف اليوم الأول من السنة المدنيَّة، تُعيِّد الكنيسة المقدسة لذكرى ختانة الرب بالجسد ولتسميته يسوع، هذا الإسم الذي يعني المخلص. «ولما تمَّت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سُمّي يسوع كما تسمَّى من الملاك قبل أن حُبل بهِ في البطن» (لو ٢١:٢، راجع تكوين ١٢:١٧ ولاو٣:١٢).

حسب الليتورجيا الكنسيَّة فإن الرب قَبِلَ ختاناً بشرياً ليتمّم شريعة موسى التي لم يستطع أن يتمّمها أحد بالتمام قبله. عبر إتمامه وإكماله «كل شيء حسب ناموس الرب» (لو ٣٩:٢) المسيح يكمل «كل برّ» (متى ١٥:٣). بهذا المعنى المسيح هو كمال النبوءات وتحقيقها، ليس انه يفعل فقط ما كُتب عنه، بل يفعل كل ما يجب أن يفعله أي إنسان إذا أراد حقاً أن يتمِّم كلمة الله. «إن الإله الكلي الصلاح لم يأنف أن يختتن ختانة جسدية بل قدّم ذاته رسماً ومثالاً للجميع للخلاص. فإن صانع الشريعة يتمِّم فرائض الشريعة ونبوءات الأنبياء عنه. فيا أيها الحاوي الكل في قبضته، يا من أُدرج في أقمطة، يا رب المجد لك» (من غروب العيد).

عندما طبق الشريعة حرفياً على ذاته، أظهر الرب ذاته عبداً وخادماً، وماهى نفسه مع خليقته الخاطئة. هذا هو التواضع الإلهي، ومحبة الله للبشر التي لا توصف، وتنازله الذي لا يوصف وتدبيره لأجلنا نحن الضائعين. لم يصر فقط «في الهيئة كإنسان» بل أخلى نفسه من مجده الإلهي «آخذاً صورة عبدٍ» (في ٧:٢–٨) خاضعاً للسكين الذي استعمله رئيس الكهنة ليختنه فبدا وكأنه لا حول له ولا قوة. عبر ختانته خلَّص الرب شعبه من لعنة الناموس وحرَّرهم من الطقوس المبنيَّة على الشريعة. طبعاً الناموس ليس لعنة بحد ذاته، «الناموس مقدَّسٌ والوصية مقدَّسة وعادلة وصالحة» (رو ١٢:٧). المشكلة انه لا يستطيع أحد إتمامَ الناموس بالتمام، وإذا كنا سنحاكم بحرفيَّة الناموس فسوف يُقضى علينا. لهذا السبب أتى المسيح ليعمل بجسده ما لم يقم به غيره، لكي عبر الإيمان به يتبرَّر الجميع أمام الله.

لقد أُعطي الختان قديماً لإبرهيم علامة إيمانية، علامة عهد مع الله: «فيكونُ عهدي في لَحمِكم عهداً أبديًّا»

التوبةِ لغفرانِ الخطايا* وكان يخرجُ إليهِ جميعُ أهلِ بلدِ اليهوديةِ وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منهُ في نهرِ الأردنِ معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يلبَسُ وبرَ الإبلِ وعلى حقوَيْهِ منطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً بريًّا* وكان يكرزُ قائلاً إنَّهُ يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي وأنا لا أستحقُّ أن أنحنيَ وأحُلَّ سَيْرَ حذائِهِ* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعَمِّدكم بالروحِ القدسِ.

تأمل

لكي يبيِّن لنا يوحنا مقدار اتضاع ابن الله، سبَقَ وقال إنه لا يستحقُّ أن يحُلَّ سير حذائه، وأنه الديَّان العادل الذي يحاسِبُ كلاً بحسب أعماله، وأنه يُفيض نِعَم الروح القدس على كل الناس، حتى إذا رأيتموه آتياً إلى العماد، لا ترَون مهانةً في هذا الاتضاع. وعلى هذا، عندما شاهدَهُ يوحنا أمامه، أخذ يمانعه قائلاً: «أنا المحتاج إلى أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَّ؟» وبما أنَّ عماد يسوع كان عماد التوبة، وكان يفرض على المعتمدين أن يعترفوا بخطاياهم، فلكي يستدرك يوحنا ويُبيِّن لليهود أن

(تكوين ١٧:١٣). منذ البدء لم يكن الختان أمراً جسدياً فقط، بل حمل معنًى روحياً. ليس مسألة لحم فقط بل قلب أيضاً. هذا البعد الإيماني هو ما يجب أن نصل إليه وإلاّ تصبح مسألة الختان كالتمسُّك بالقشور. يطبِّق يسوع شريعة الختان لينقلنا لاحقاً إلى ما هو أعمق. «لأنَّه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة» (غلا ٥:٦).

على هذا الأساس نرى الرسول بولس في مختلف رسائله يشدِّد على أهميَّة ختان القلب والإلتزام بالعهد مع الله: «فإنَّ الختانَ ينفعُ إن عمِلتَ بالناموس. ولكن إنْ كنتَ مُتعدِّياً الناموسَ فقد صارَ ختانُكَ غُرْلَةً. إذاً إنْ كان الأغرَلُ يحفَظُ أحكامَ الناموس أفما تُحسَبُ غُرلَتُهُ ختاناً. وتكونُ الغُرلةُ التي من الطبيعةِ وهي تُكمِّلُ الناموسَ تدينُكَ أنتَ الذي في الكتابِ والختانِ تتعدَّى الناموس. لأنَّ اليهوديَّ في الظاهرِ ليس هو يهوديًّا ولا الختانُ الذي في الظاهرِ في اللَّحمِ ختاناً بل اليهوديُّ في الخفاءِ هو اليهوديُّ. وختانُ القلبِ بالروحِ لا بالكتابِ هو الختانُ الذي مدحُهُ ليسَ مِنَ الناسِ بل من اللهِ» (رو ٢:٢٥–٢٩) و«جميعُ الذينَ يريدون أن يعملوا منظراً حسَناً في الجسدِ هؤلاءِ يُلزِمونكم أن تختَتِنوا لِئلاَّ يُضطَهدوا لأجلِ صليبِ المسيحِ فقط. لأنَّ الذينَ يختَتِنونَ هم لا يحفظونَ الناموسَ بل يريدون أن تختَتِنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم وأمَّا من جهتي فحاشا لي أن أفتخرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي به قد صُلبَ العالمُ لي وأنا للعالَمِ لأنَّهُ في المسيحِ يسوعَ ليسَ الختانُ ينفعُ شيئاً ولا الغُرلةُ بل الخليقةُ الجديدةُ» (غلا ٦:١٢–١٥).

قداس الميلاد

صباح السبت ٢٥ كانون الأول ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس قداس الميلاد في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية، وقد ألقى بعد قراءة الإنجيل المقدَّس العظة التالية:

«المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة.

يا أحبة، كما سمعتم في النص الإنجيلي، إن المولود الذي نعيّد له اليوم هو يسوع المسيح الآتي إلى العالم ليخلص الإنسان. أولئك الذين يتأملون السماء ويسيرون بهدي النجوم علموا بولادته. النور الصغير، النجم في السماء، دلّهم على النور الأعظم الذي يُشرق للمستقيمين. وعندما وصلوا إلى بيت لحم، الأرض التي هداهم إليها النجمُ، سمع الملك هيرودس بولادة الطفل الإله، الملك، فاضطرب وجميع أورشليم لأنه لم يُرد الإله قربه. اضطرب الملكُ لأن الحق وُلد وأُظهر للناس بكليته.

يقول يوحنا الحبيب في بدء إنجيله: «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً **وحقاً**» (١:١٤). وكنا نرنّم: «لقد افتقدنا الرب من العلى، فنحن الجالسين في الظلمة والظلال، قد وجدنا **الحق**». ويسوع نفسه قال لتلاميذه عندما كانوا يتساءلون عن حياتهم ومسيرتهم بعدما عرفوه: «أنا هو الطريق **والحق** والحياة» (يوحنا ١٤:٦).

اضطرب هيرودس الملك لأنه لم يكن يريد معرفة الحق. وعندما ظهر الحقُ أمامه خاف لأن الحق سيجعله في حال مرفوضة. يضطرب من لا ينتظر السماوي ولا يتمتع بالذوق الإلهي ولا يبغي الدخول في أبعاد المعرفة الحقة والنور الإلهي.

الرب تجسَّد، صار إنساناً وحلّ

المسيح لم يأتِ إلى عماده على هذه النيَّة، دعاه أمام الشعب: «حمل الله» والمخلِّص الذي يمحو خطايا العالم. لأنَّ مَن كان له السلطان أن يمحو كل خطايا الجنس البشري، يقتضي بأولى حجة أن يكون هو نفسه بريئاً من الخطأ...

وكان يخرج إليه أهل بلد اليهودية وأورشليم فيعتمدون منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم (مرقس ٥:١) أرأيتم قوة تأثير من عمَّد المسيح؟ كيف جعل الشعب اليهودي يضطرب ويعترف بخطاياه؟ حقاً كان المشهد عجيباً عند اليهود إذ رأوا يوحنا في هيئة إنسان، يجري أعمالاً عجيبة، وعلى وجهه نعمة خاصة، يتكلَّم بجسارة. لم يتكلم عن الحروب ولا عن القتال ولا عن النصر والظفر الدنيويين ولا عن ويلات الجوع والوباء ولا عن فتح مدينة والاستيلاء عليها ولا عن أشياء عادية عالمية. بل تكلَّم عن السموات، عن ملكوت الله، عن العذاب، عن جهنم. كان سابق المسيح يستعمل الوسائل الفعّالة ليحمل الشعب على احتقار الأشياء العالمية الحاضرة ويسمو بأفكاره إلى السموات الآتية.

بيننا، ليعيد الإنسان إلى سابق بهاء صورته. تجسد الرب يسوع ليؤكد للإنسان قيمته وكرامته وليعيده إلى سابق مجده. أن يتحد الله بالإنسان أمرٌ لا يساويه أي أمر آخر. والكنيسة، التي هي جسدُ المسيح وامتدادُه في الزمن، مؤتَمَنة على خلاصِ الإنسان وكرامته. هي تحفظ كرامةَ الإنسان وقيمته وتحيطه بكل عناية ومحبة وصلاة، وتدافع عنه ضد كل من أو ما يؤذي جسده أو نفسه أو حياته. الكنيسة هي المدافعِ الأول عن الإنسان، وكما هي حريصةٌ عليه، هي حريصة أيضاً على سلامة المحيط الأصغر الذي يعيش فيه، أي العائلة، لأن العائلة هي الرحم الاجتماعي الحق، هي البطن الاجتماعي الأساس الذي يرفد المجتمع بالعناصر الطيبة الصالحة. وهي حريصة كذلك على المحيط الأرحب والأوسع الذي يعيش فيه الإنسان، أي الوطن. وهذان المحيطان مدعوان أن يكون كلٌ منهما كياناً متكاملاً، منسجماً. وإذا أُسيء إلى العائلة أو إلى الوطن، تقف الكنيسة محاميةً عن كرامة العائلة الصغيرة وعن كرامة العائلة الكبيرة، لأن أي خطر على هاتين العائلتين يشكّل خطراً على الإنسان، والكنيسة هي المدافع الأول والوحيد عن الإنسان. من هذا المنظار تحافظ الكنيسة على طهارة الانتماء إلى العائلة وطهارة الانتماء إلى الوطن والأمانة له، وتدعو إلى عدم تشويش العقل بمفاهيم وأيديولوجيات كلها زائلة. أين الشيوعية والماركسية والأممية وغيرها؟ الإنسان يعرف أخاه وجاره ويعرف وطنه. ومن يطلع علينا بنظريات ويكبّر الأمور كمن يكبّر الحجر فلا يضرب. أنا أؤمن أني خرجت من بطن أمي ومن بطن عائلتي وأعيش في بطن وطني. لذلك ترجو الكنيسة من السلطة السياسية التي ترعى شؤون المجتمع المدني الوطني أن تكون وفيّة لرسالتها، كما هو مطلوب من الكنيسة وأبنائها إكرام السلطة السياسية واحترامها. جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: «لتخضع كلُّ نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطانٌ إلّا من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ إفعل الصلاحَ فيكون لك مدحٌ منه لأنه **خادمُ الله للصلاح**» (١٣: ١-٤). الحاكمُ خادمُ الله للصلاح، وإن لم يكن كذلك فالرب يؤدّبه أيما تأديب.

مطلوب من الكنيسة وشعبها أن تكرّم الحاكم وتحترمه لأن سلطته مرتبة من الله وهي عطية منه. ولكن إن خالفتْ هذه السلطة رسالتها فالكنيسة تعلن كما أعلن الرسل: «ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس» (أع ٢٩:٥). يقول ثيوناس أسقف الإسكندرية (توفي سنة ٣٠٠ ب.م.) «إعتبروا كل أمر يصدرُ من الملك ولا يسيء إلى الله كأنه يصدر من الله نفسه وأطيعوه بمحبة وخشية بكل فرح». وأما معلم الخطابة الروماني لاكتنتيوس (٢٥٠-٣٢٥ ب.م.) فينبّه المؤمنين بقوله «عندما يأمرنا الناس أن نتصرَّف بخلاف ما يطلبه الله منا، وبخلاف ما يفرضه العدل علينا، يجب ألاّ نأبه لأي تهديد أو عقاب يأتي علينا لأننا نفضّل وصايا الله على أوامر الإنسان».

هيرودس اضطرب، وكل سلطة فاسدة تضطرب أمام الحق وتهذر. إن كانت تستلهم ما ليس بحق أو هو من وحي الظلم والقمع والاستبداد والمصلحة الخاصة، وإن تحالفت مع قوى الشر وتمرّدت على الله، فصوت الكنيسة النبوي يعلن إدانتها وسقوطها.

إذاً لنَسِرْ في إثر السابق المعمدان. ولنترك الإفراط في الملذات، ولنتبع الاعتدال.

فالكنيسة تحتفل بعيد اعتماد المسيح، لتدعونا إلى التوبة، على اختلاف طبقاتنا. فلا يجوز أن نجمع بين التوبة والملذّات في آن واحد: وإن ما يؤيّد هذا القول، طعام ولباس ومأوى يوحنا المعمدان. فإذا لم نستطع أن نحيا حياة قاسية كحياته، فالتوبة واجبة مع السكن في المدن والقرى، لأننا بها نهيّئ أنفسنا للدينونة، كأنها على الأبواب، وإن كانت الدينونة غير قريبة، فلا يجوز لنا التهاون بالتوبة، لأن لكل حياة بشرية نهاية كما ينتهي العالم كله.

لنسمع قول بولس رسول المسيح يؤكّد لنا أن الدينونة على الأبواب: «قد تناهى الليل واقترب النهار» (رومية ١٢:١٣) لأنه في أقرب زمان يأتي الآتي ولا يُبطئ (عبر ٣٧:١٧) فهذه أدلّة واضحة على مجيء الدينونة وحقاً قيل أيضاً: «وسيُكرز بإنجيل الملكوت هذا في جميع المسكونة شهادة لكل الأمم وحينئذٍ يأتي المنتهى» (متى ١٤:٢٤).

القديس يوحنا الذهبي الفم

الكنيسة لا تريد أن تحلّ محلّ السلطة، وإن كانت هذه غايتها لأصبحت أرضية، تبتعد عما هو روحي وسماوي (وهي نازلةٌ من فوق لتقدّس الأرض) وتبتغي حينئذٍ سلطاناً أرضياً عوض أن ترتفع إلى مصدرها وترفع معها الآخرين. ليس على الكنيسة أن تكون قيصر أو ملكاً وليس على الدولة أن تقوم مقام الله أو تتصرف وكأنها الإله. أما إن كانت السلطةُ السياسيةُ خادمةً للحق والصلاح، مديرةً لشؤون الناس لما فيه خيرهم ولا تستغل ما لها من سلطان لاستغلالهم، فطاعتُها واجبةٌ في ما هو من أمور الدنيا ترعاها، لأنها خادمة الله للصلاح كما يقول بولس الرسول. ومطلوبٌ أن تقام طلباتٌ وصلواتٌ وابتهالاتٌ وتشكراتٌ لجميع «الذين هم في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار، لأن هذا حسنٌ ومقبولٌ لدى مخلصنا الله» (١ تيمو ١:٢-٣).

الرسول بطرس يعتبر الولاة والملوك والسلاطين والمسؤولين مرسَلين من الله «للإنتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير، لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير... خافوا الله، أكرموا المَلك» (١بط٢: ١٤-١٥ و١٧). لكن أشر الويلات أن يكون الحاكم فاسداً عوض أن ينتقِم من فاعلي الشر.

السلطة السياسية التي يتكلّم عنها الرسل هي سلطة تستلهم شريعة الله وتميلُ أذنها إلى كلامه لتكون خادمةً للمشيئة الإلهية، فتدين الشعبَ بالعدل والمساكينَ والفقراءَ بالحق، وتخلّصُ البائسَ وتسحقُ الظالمَ وتؤسّسُ للسلام. أما إذا كانت هذه السلطة في أيدي من هم ليسوا في تعب الناس ومصائبهم – أي لهم آذان ولا تسمع، ولهم عيون ولا تبصر – أو كانت في أيدي من هم في هَمّ الحفاظ على مناصبهم ومصالحهم، يكون الشعب في الألم والحيرة والفقر والضياع والهجرة واللامبالاة والصراخ الدائم من أجل الحياة.

لذا نسأل الله أن لا يضطرب حكامنا إذا وقفوا أمامه، ونكون عندها في فرح وسرور عميقين لأنهم أنقياء الجيوب والقلوب والعقول والأيدي. ولهذا السبب سألنا الرسولان بطرس وبولس والقديسون أن نرفع الصلاة في كل قداس من أجل حكامنا ونسأل الله أن يؤازرهم في كل عمل صالح.

وفي هذا العيد المبارك، ذكرى ولادة الإله الإنسان، ولادة الحق، نسأل الله أن يبارك حكامنا لأننا نفرح بهم إن كانوا من أهل الحق، وأن يجعل آذانهم سامعةً كلمته، وضمائرهم تحيا بحضوره، لكي ينعم الشعب الموضوع في رعايتهم بالطمأنينة والخدمة المؤاتية والرجاء بحياة أفضل.

أسألكم أيها الأحبة أن نتحد معاً في الصلاة من أجل عائلاتنا الصغيرة، ومن أجل عائلتنا الكبيرة الوطن، لكي تكون جميعها متشابكة بالمحبة والتعاضد والمودة، فيسعدُ الحاكم بأبنائه ويتهلّل الأبناء والبنات بمن يرعاهم.

باركهم وباركهم مع عيالكم، وبارك هذا البلد لتبقوا فيه مثمرين إلى أبد الدهور، آمين».

عيد الظهور الإلهي

في مناسبة عيد الظهور الإلهي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٦ كانون الثاني ٢٠٠٥ في كنيسة بشارة السيدة في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb